

منهج الحافظ ابن الجزري في التوجيه والاحتجاج
للقرارات

(من خلال كتابه النشر في القراءات العشر).

إعداد الدكتور:

مَهْدِي إِهْمِي

أستاذ القراءات المحاضر (قسم أ) بكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1-بن
يوسف بن خدة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فيطيب لي أن أشارك الأساتذة العلماء والقراء النجباء في هذه الندوة العلمية المباركة- الندوة الدولية حول الإمام الحافظ ابن الجزري-رحمه الله تعالى- بمدينة بورصا التي تقيمها هيئة تدقيق المصاحف والقراءة برئاسة الشؤون الدينية بمدخلة بعنوان (منهج الحافظ ابن الجزري في التوجيه والاحتجاج).

وأقدم بالشكر الجزيل للقائمين على هذه الندوة العلمية على توجيه الدعوة لي للمشاركة، وإتاحة هذه الفرصة للحديث عن هذا الموضوع أمام أهل الاختصاص من أكاديميين وقراء ، والله تعالى ولي التوفيق ، والهادي إلى سواء السبيل.

ويكمن سبب اختيار الموضوع فيما يأتي:

- يعتبر علم القراءات من العلوم الأساسية لفهم الآيات القرآنية وبيان معانيها.
- تمثل القراءات مصدرا مهما من مصادر الاحتجاج للغة، يستشهد بها في تقعيد القواعد وتأصيل المسائل.
- عناية الحافظ ابن الجزري بعلم التوجيه والاحتجاج فهو عالم مقرئ نحوي لغوي.
- محاولة الكشف عن منهج الحافظ ابن الجزري في توجيهه للقراءات القرآنية.
- معرفة اللغة العربية وعلومها؛ سبب لبيان وجه قراءة كل قارئ، والدفاع عن القراءات القرآنية، ورد شبه المتأولين والمستشرقين.
- للقراءة القرآنية أثر واضح في معرفة القواعد الصرفية واللغوية.
- تعدد أوجه القراءة في الكلمة القرآنية يضيف عليها روضة من المعاني والدلالات الجديدة.

وقد قسمت المدخلة إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: أهمية التوجيه والاحتجاج في العلوم الشرعية.

المحور الثاني: تعريف علم التوجيه والاحتجاج مع بيان الدوافع والأسباب للتأليف فيه.

المحور الثالث: ترجمة مختصرة عن الإمام الحافظ ابن الجزري -
رحمه الله-.

المحور الرابع: منهج الحافظ ابن الجزري في التوجيه والاحتجاج
 للقراءات.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج المداخلة.

المحور الأول: أهمية التوجيه والاحتجاج في العلوم الشرعية.

لقد كان علم القراءات وما زال اهتمام رواد كتاب الله تعالى ويعتبر رافدا من روافد علوم الشريعة، فهذا علم التفسير والفقهاء وأصوله، وعلم النحو والصرف وعلم البلاغة وكتب المعاجم اللغوية يُشكّل القرآن بقراءاته أصلا أصيلا وركنا ركينا فيها، فالنص القرآني هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة، والنحو، والصرف، وعلوم البلاغة، وقراءاته جميعا الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة، أما طرقه المختلفة في الأداء فهي كذلك؛ إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء التابعين وهم جميعا ممن يحتجّ بكلامهم لأخذهم القراءة التي تحروا ضبطها من النبي ﷺ ، وقد جرى عرف العلماء على الاحتجاج بروايات القرآن سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة(1).

ولهذا العلم أهمية كبيرة في بيان مأخذ كل قراءة ووجهها في العربية، ويُعين على فهم معاني القراءات، ولما في تعلّمه من وصول إلى استنباط الأحكام الفقهية، وتأصيل القواعد النحوية، والدفاع عن القرآن الكريم وقراءاته مما قد يثيره الملحدون في آيات الله من شُبّهات، وتوجيه القراءات المتواترة قد أبرز جانبا مُهما من جوانب الإعجاز القرآني؛ إذ أنّه وضح أنّ كثرة الاختلاف وتنوعه في القراءات لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدّق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا على نمط واحد

(1) ينظر: أصول النحو لابن السراج: ص 28-29

وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

وتوجيه القراءات قد أثرى اللغة العربية ووثَّقها، فالقراءات مصدر لتقنين النحو وضبط قواعده؛ لما توافر لها من الضبط والوثوق والدقة والتحري، وذلك شيء لم يتوافر بعضه لأوثق شواهد النحو، وقد طَبَّقَ هذا المنهج إمام النحاة ابن مالك حينما قال: (وَحُجَّتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ وَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرٍ) فقد اكتفى بالقراءة المتواترة في إثبات جواز الفصل بين المضافين في اللغة، بينما ردَّ كثير من النحاة هذه القراءة لمخالفتها قواعدهم التي بنوها على أساس بيت مجهول القائل أو عبارة قالها عربي في البادية.

ا

المحور الثاني: تعريف علم التوجيه والاحتجاج مع بيان الدوافع والأسباب للتأليف فيه.

التوجيه في اللغة: أصله الوجه، وله عدة معان في الأصل اللغوي، جاء في كتاب العين: «الوجه مستقبل كل شيء، والجهة: النحو، أخذتُ جهة كذا أي نحوه» (1).

وفي اللسان: «الوجه معروف...، ووجه البلد: أشرافه..، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به» (2).

اصطلاحاً:

(1) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (وجه): ص550-551.

هو تعليل الوجه المختار، وبيان وجهه من حيث اللغة والإعراب، أو هو علم يُبحث فيه عن معاني القراءات والكشف عن وجوها في العربية⁽²⁾. وهناك مصطلحات أُخر استخدمها العلماء قديماً منها: (علل القراءات) كما جاء في تسمية بعض كتب القدماء من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر (القراءات بعللها) و(السبعة بعللها الكبير) كلاهما للإمام محمد بن الحسن النقاش (ت351هـ) - وهما في حكم المفقود، و(علل القراءات) للإمام أبي منصور الأزهري (ت370هـ)، و(إعراب القراءات السبع وعللها) لابن خالويه (ت370هـ).

ومن هذه المصطلحات أيضاً (الانتصار للقراءات) ومنها كتاب الإمام محمد بن مقسم العطار (ت354هـ)، وعنوانه: (الانتصار لقراء الأمصار)، ومن المصطلحات أيضاً (الفصل بين القراءات) ومنه كتاب شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت311هـ) وسماه (الفصل بين القراءة) رآه الشيخ ياقوت الحموي ووصفه بقوله: (ذكر فيه القراءة ووجهها وتأويلها، والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها).

ومنها معاني القراءات (معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري)، وإعراب القراءات (لإسماعيل بن خلف الرعيني)، وتوجيه القراءات (الجمع والتوجيه لما انفرد به يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، لأبي الحسن شريح بن محمد الرعيني)⁽³⁾.

أسباب التأليف في التوجيه أو الاحتجاج.

1- الدفاع عن القراءات بالكشف عن وجهها، وبيان صحتها وسلامتها، والرد على ما يثيره من أحد ممن قصد التشكيك في القراءات ليصل بذلك إلى الطعن في القرآن الكريم.

(3) ينظر: بحث نماذج من توجيه الإمام الشاطبي للقراءات في منظومته حرز الأمانى ووجه التهاني للأستاذ الدكتور: السالم محمد محمود الجكني ص: 51-52، مجلة الحجة تصدر عن مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء - العدد الأول - يناير 2015م.

2-توضيح الأركان الثلاثة التي وضعها العلماء لصحة القراءة.

3-بيان معنى الآية التي قُرئت بأكثر من وجه وتفسيرها، فيكون الباعث على ذلك هو توضيح والإفهام.

4-من أنواع التأليف في العلم أن يعتمد اللاحق إلى كتاب من كتب المتقدمين يفنقر إلى بيان وإيضاح، أو اختصار، أو تبسيط أو تذييل، كما حصل مع أبي بكر بن مجاهد(ت324هـ)، وقد كان كتابه عارياً عن الاحتجاج، فرأى جماعة من العلماء النحويين كأبي بكر بن السري السراج (ت316هـ) أن يضمَّ إلى هذا الكتاب الذي جمعت فيه قراءات السبعة علل تلك القراءات والحجة فيها، فشرع في ذلك ولم يتمَّ سورة البقرة، ثم جاء أبو علي الفارسي (ت377هـ)، ونقل ما ذكره ابن السراج وزاد عليه، وأتمَّه إلى آخره جاعلاً كلام ابن مجاهد متناً، والاحتجاج للقراءات كالشرح عليه.

لمَّا كان للقراءات علاقة قوية باللغة العربية لا سيما النحو أراد كثير من علمائها، على اختلافهم أن يتأيد بقراءة ما، ويحتجُّ لها، كما فعل كثير من نحاة البصرة، أو يقف منها موقفاً آخر مبيناً أنَّ احتجاج خصمه بتلك القراءة غير مستقيم.

5- الجهل بلغة العرب، وعدمُ استقراء أساليبهم في الكلام هو السبب الرئيس الذي أدَّى إلى اضطراب آراء بعض النحويين واللغويين-بل وبعض أهل القراءات- في القراءات فنبزوها تارة بالضعف، وأخرى باللحن، وثالثة بالخطأ.

ولمَّا ظهر هذا المنهج عند بعض العلماء، سارع الأئمة المحققون الذين جمعوا بين علم القراءات رواية ومذاهب أهل العربية درايةً، رفعوا راية الدفاع عن القراءات بنفس سلاح المنكرين لها؛ وهو لسان العرب فنشأ التوجيه والاحتجاج للقراءات(4).

(4) ينظر: توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيراً وإعراباً للدكتور عبد العزيز الحربي:66/1-67، بحث الاحتجاج للقراءات للدكتور عبد الفتاح شلبي:ص71، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، جامعة أم القرى-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-مكة المكرمة-العدد الرابع1401هـ، وكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها:19/1-20،

المحور الثالث: ترجمة مختصرة عن الإمام الحافظ ابن الجزري - رحمه الله-(5).

فهذه ترجمة مختصرة لهذا الإمام العلم، توضح ملامح حياته على وجه الإجمال، وإلا فإن كتابة ترجمة موسعة له تحتاج إلى مجلد كبير، لوفرة المعلومات عنه، ويمكن إعداد رسالة علمية عن حياته وجهوده في القراءات.

اسمه ومولده:

هو أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي، المعروف بابن الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل(6).

ولد في دمشق ليلة السبت بعد صلاة التراويح في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة 751 هـ داخل خط القصاصين بمحلة بين السورين.

وبحث نماذج من توجيه الإمام الشاطبي للقراءات في منظومته حرز الأمانى ووجه التهاني للأستاذ الدكتور:السالم محمد محمود الجكني ص:51-52،مجلة الحجة(مجلة علمية محكمة) تصدر عن مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء-العدد الأول-يناير 2015م.

(5) ترجم الشارح له ص (26)، مصادر ترجمته: غاية النهاية:2/247 إنباء الغمر: 245/8 الضوء اللامع 255/9 شذرات الذهب: 204/7 معجم المؤلفين: 11/291 مقدمة منجد المقرئين: 7-40 النشر في القراءات العشر، جامع الأسانيد(خ)

(6) اختلف في اسم الرجل الذي نسبت إليه هذه المدينة فذكر ابن خلكان نقلاً عن الواقدي أن بانيتها على الصواب عبد العزيز بن عمر، رجل من أهل برقعيد من أعمال الموصل (تركيا في قضاء زاخو على الحدود العراقية التركية). انظر: أعلام التاريخ والجغرافيا 62/3.

ووهم السخاوي في الضوء اللامع (7) فقال: «إن والد ابن الجزري مكث أربعين سنة لا ولد له ولما حج شرب زمزم بنية أن يرزقه الله ولداً عالماً فولد له ابنه محمد بن الجزري سنة 751هـ» (8).

نشأته:

كان أبوه تاجراً حريصاً على العلم، يعظم كتاب الله، ويتلقاه عن الشيوخ الأجلة، وقد ذكر ابن الجزري ذلك في ترجمة شيخه السروجي (ت 764هـ) فقال: شيخي وشيخ والدي رحمه الله، لقن والدي القرآن.

فلقد حضر على العلماء في سن مبكرة بعد أن حفظ القرآن سنة 764هـ، وله ثلاث عشرة سنة، وصلى به إماماً سنة 765هـ، كما سمع الحديث النبوي من الكبار، كأصحاب الفخر ابن البخاري، وغيرهم بدمشق، واستجاز من كبار شيوخه كخال جده المعمر محمد بن إسماعيل الخباز.

ثم بدأ بجمع القراءات على شيوخ القراء بالشام، كأبي محمد عبد الوهاب بن السلار، وأحمد الطحان، وأحمد بن رجب، وأتم الجمع للبعة على الشيخ المجود إبراهيم الحموي، ثم أتم الجمع على الشيخ أبي المعالي بن اللبان.

رحلاته:

تاقت نفس الإمام ابن الجزري إلى الرحلة في طلب العلم حرصاً على علو الإسناد وزيادة الإتيان، فقصده البلاد المقدسة في الحجاز سنة 768هـ، واتصل بخطيب المدينة المنورة وإمامها، الشيخ محمد بن عبد الله الخطيب فتلقى عنه القراءات بمضمن كتاب (الكافي) و(التيشير)، فلما تم له ذلك رجع إلى دمشق، ثم إنه رغب في الرحلة إلى الأندلس ليأخذ عن الشيخ محمد بن يوسف الأندلسي فمنعه والده، وقصد الرحلة إلى الكرك فلم يتفق له ذلك، ثم قصد القاهرة سنة 769هـ، فأخذ عن كبار قرائها، وتلقى القراءات جمعاً على محمد بن الصائغ، وعبد الرحمن بن البغدادي، وأبي بكر بن الجندي واستجاز هذا الأخير فأجازه، ثم رحل إلى دمشق، وقصد القاهرة مرة ثانية سنة 771هـ ليجمع مرة أخرى على ابن الصائغ، وابن البغدادي بمضمن عدد من الكتب في القراءات، وليتلقى الحديث الشريف على من بقى من أصحاب الدمياطي، والأبرقوهي، وغيرهما وليتفقه على مذهب الإمام الشافعي في حلقة الشيخ عبد الرحيم الإسنوي وغيره.

(7) ج 9/ص 255، الغاية ص 8.

(8) والصحيح كما في جامع الأسانيد لابن الجزري خ/22 أن والده أخبره: أنه ولد سنة 725هـ وحج سنة 748هـ، وشرب ماء زمزم بنية أن يرزقه الله ولداً يكون من أهل القرآن، وقال له: تزوجت بوالدتك سنة 750هـ فولدت لي في الخامس والعشرين من رمضان سنة 751هـ.

ولم يلبث أن رجع إلى القاهرة سنة 778هـ، وقرأ على الضياء القزويني، وغيره في الأصول والمعاني والبيان، ورحل أيضاً إلى الإسكندرية ليقراً القراءات جمعاً على الشيخ عبد الوهاب القروي الإسكندري، فعاد إلى دمشق علماً في علوم شتى على رأسها القراءات والحديث والفقهاء.

شيوخه: (9)

نذكر من شيوخه الذين أسند إليهم القراءات العشر:

- 1- أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن المبارك البغدادي يقال له الواسطي المصري المولد والدار والوفاة (702هـ - 781هـ) (10).
- 2- أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي عبد الله الحسين بن سليمان بن فزارة الحنفي بدمشق (691هـ - 770هـ) (11).
- 3- أبو المعالي محمد بن أحمد بن علي بن اللبان الدمشقي (715هـ - 776هـ) (12).
- 4- أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أسد القروي الإسكندري (702هـ - 788هـ) (13).
- 5- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الحنفي ابن الصائغ (704هـ - 776هـ) (14).
- 6- أبو بكر أيد غدي بن عبد الله الشمسي الشهير بابن الجندي ويسمى عبد الله (699هـ - 769هـ) (15).

تلاميذه:

أخذ عن ابن الجزري الكثيرون، وتلقوا عنه القراءات، والحديث في بلدان شتى، فأينما حل كان له تلاميذ، ولم يكن في عصره من هو أعلى سنداً منه في القراءات، والحديث؛ ولذا فقد تسابق الطلبة للأخذ عنه.

ومن أشهر تلاميذه:

(9) ذكر ابن الجزري في كتابه جامع الأسانيد ما يربو على خمس وأربعين شيخاً وقال: «فهؤلاء الذين أعلم أنني أخذت عنهم القرآن العظيم، وشيئاً من رواياته وأجازوني... وأما الذين رأيتهم من مشايخ القراء المتصدرين للإقراء ممن لم آخذ عنهم، ولا أجازني أحد منهم فجماعة كثيرون» خ/ق 65 جامع الأسانيد.

(10) غاية النهاية ج 1/ص 364.

(11) غاية النهاية ج 1/ص 48، 49.

(12) غاية النهاية ج 2/ص 72.

(13) غاية النهاية ج 1/ص 482.

(14) غاية النهاية ج 2/ص 171.

(15) غاية النهاية ج 1/ص 181.

- 1 - أبو النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العبقي.
 - 2 - الزين طاهر بن محمد بن علي بن محمد بن عمر النويري المالكي.
 - 3 - أحمد بن أسد بن عبد الواحد أبو العباس بن أسد الأميوطي.
 - 4 - أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن يوسف القلقيلي.
- فهؤلاء الأربعة هم الذين تسند إليهم القراءات العشر غالباً.
- آثاره ومؤلفاته:**

بعد ما تعلّم العلم وعلا نجمه وذاع صيته، فقد أذن له شيخه ابن كثير بالإفتاء سنة 774هـ، وجلس للإقراء تحت قبة النسر بالجامع الأموي سنين، ولي مشيخة الإقراء بالمدرسة العادلية، ثم مشيخة دار الحديث الأشرفية الكبرى، ثم مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أم الصالح، بعد وفاة شيخه ابن السلار سنة 782هـ، عمّر بدمشق داراً للقرآن، وأصبح شيخاً لها، كما ولي التدريس في المدرسة الصلاحية بعد الشيخ نجم الدين ابن جماعة، وأقام بها نحو سنة واحدة، كما ولي قضاء مدينة شيراز سنة 808هـ، وولي خطابة جامع التوبة بدمشق.

مؤلفاته:

- المقدمة الجزرية (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه) وسيأتي الكلام عليها. (ط)
 - طيبة النشر في القراءات العشر. (ط)
 - منجد المقرئين. (ط)
 - التمهيد في علم التجويد. (ط)
 - الدرّة في القراءات المتممة للعشر. (ط)
 - تحبير التيسير. (ط)
 - أصول القراءات.
 - الإهداء في الوقف والابتداء.
 - البيان في خط عثمان.
 - ألغاز أو أربعون مسألة من المسائل المشكّلة في القراءات. وغيرها من الكتب التي تبلغ أكثر من ثمانين كتاباً.
- وفاته:**

توفي بشيراز يوم الجمعة في الخامس من ربيع الأول سنة 833هـ، ودُفن بدار القرآن التي أنشأها بشيراز. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.

المحور الرابع: منهج الحافظ ابن الجزري في التوجيه والاحتجاج للقراءات.

يتبين منهج الحافظ ابن الجزري في الاحتجاج للقراءات من خلال العدد غير القليل من القراءات التي وجهها واحتج لها، حيث ربت على ست وخمسين، ما بين أصول وفرش، وأيضاً في الطريقة التي سلكها في هذا الاحتجاج، ويتجلى هذا المنهج في النقاط الآتية:

- أن المؤلف لم يلتزم توجيه كل قراءة، بل ترك كثيراً، ولا يصح أن يفهم من صنيعه هذا أنه اقتصر على القراءات التي للنحويين

وغيرهم طعنٌ فيها، بدليل أنّ ما ترك الاحتجاج له فيه طعن وتضعيف، بل وتخطئة منهم، فلم يوجّه قراءة حمزة في قوله تعالى(والأرحام) في سورة النساء بالخفض، وفيها كلام كثير عند النحويين والمفسرين.

● أنّه في القراءات التي احتجّ لها لم يسرّ على وتيرة واحدة في الاحتجاج فنراه أحياناً يكتبي بقوله:«وهي لغة»، وبقوله:«وهي لغة لبعض العرب» بينما نراه في قراءات أخرى يطيل النفس في الاحتجاج لها، كما فعل عند قراءة ابن عامر(وكذلك زَيْن لكثير من المشركين).

● تعدد جوانب الاحتجاج عند المؤلّف، وعدم اقتصاره على نوع واحد فيها، وهذه الجوانب هي:
-الاحتجاج التفسيري:

ومنه قوله بعد ما ذكر القراءات في (تجري تحتها)[التوبة:100]:«واتفقوا على إثبات (من) قبل (تحتها)[البقرة:25] في سائر القرآن، فيحتمل أنّه إنما لم يكتب (من) في هذا الموضع؛ لأنّ المعنى: ينبع الماء من تحت أشجارها، لا أنّه يأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار، وأمّا في سائر القرآن فالمعنى أنّها تأتي من موضع وتجري تحت هذه الأشجار، فلاختلاف المعنى خولف في الخط، وتكون هذه الجنات معدّة لمن ذكر تعظيماً لأمرهم وتنويهاً بفضلهم، وإظهاراً لمنزلتهم؛ لمبادرتهم لتصديق هذا النبي الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل التسليم، ولمن تبعهم بالإحسان والتكريم، والله تعالى أعلم.»

ومنه قوله عند بيان القراءات في قوله تعالى:(فعميت عليكم)...، «واتفقوا على الفتح والتخفيف من قوله تعالى في القصص:66:(فعميت عليهم الأنبياء)؛ لأنها في أمر الآخرة، ففرقوا بينها وبين أمر الدنيا، فإنّ الشبهات تزول في الآخرة، والمعنى: ضلت عنهم حجّتهم وخفيت محجّتهم، والله أعلم»

ومنه قوله عند بيان الكلمة القرآنية في قوله تعالى:(ويتوب الله) بسورة التوبة:15،«..وانفرد ابن العلاف عن النخاس عن رويس في

(ويتوب الله) بنصب الباء على أنه جواب الأمر من حيث إنه داخل فيه من جهة المعنى، قال ابن عطية: يعني أن قتل الكفار والجهاد في سبيل الله توبة لكم أيها المؤمنون)، وقال غيره: (يحتمل أن يكون ذلك بالنسبة إلى الكفار؛ لأن قتال الكفار وغلبة المسلمين عليهم ينشأ عنها إسلام كثير من الناس). النشر 1721

-الاحتجاج الفقهي:

ومنه قوله تعالى: «واتفقوا على (مساكين) [المائدة: 9] أن ه بالجمع؛ لأنه لا يطعم في قتل الصيد مسكين واحد، بل جماعة مساكين، وإنما اختلف في الذي في البقرة؛ لأن التوحيد يراد به عن كل يوم، والجمع يراد به عن أيام كثيرة».

-الاحتجاج البلاغي:

ومنه قوله: «واتفقوا على (ومن يرتد منكم) [البقرة: 217] أنه بدالين؛ لإجماع المصاحف عليه كذلك، ولأن طول سورة البقرة يقتضي الإطناب، وزيادة الحرف من ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: (ومن يشاقق الله) [الأنفال: 13] كيف أجمع على فك إدغامه، وقوله: (ومن يشاقق الله) [الحشر: 4] كيف أجمع على إدغامه، وذلك لتقارب المقامين من الإطناب والإيجاز».

-الاحتجاج اللغوي:

ومنه قوله عند ما ذكر القراءات في (هَيْتَ) [يوسف: 23]: «والصواب أن هذه السبع القراءات كلها لغات في هذه الكلمة، وهي اسم فعل بمعنى (هَلَمَّ)، وليست في شيء منها فعلاً، ولا التاء فيها ضمير متكلم ولا مخاطب».

-الاحتجاج النحوي:

ومنه لما ذكر أن أبا جعفر يقرأ (ويُخْرَجُ له) [الإسراء: 13] وأن يعقوب يقرأ (ويُخْرَجُ) والباقيين يقرءون (ونُخْرَجُ) قال: «واتفقوا على نصب (كتاباً) [الإسراء: 13]، ووجه نصبه على قراءة أبي جعفر (ويُخْرَجُ) مبنياً للمفعول، قيل: إنَّ الجار والمجرور وهو (له) قام مقام الفاعل، وقيل: المصدر، على

حدّ قول الله (لِيُجْزَى قوماً) [الجاثية:14] فهو مفعول به، والأحسن أن يكون حالاً، أي: ويخرَجُ الطائرُ كتاباً، وكذا وجه النصب على قراءة يعقوب، فتتفق القراءتان في التوجيه، على الصحيح الفصيح الذي لا يختلف فيه».

-الاحتجاج الصرفي:

ومنه ما ذكره في قراءة أبي جعفر في قوله تعالى:(ولا يتألّ)[النور:22]قال:« هي من الأليّة على وزن(فعيلة) من (الألوة) بفتح الهمزة وضمّها وكسرّها، وهو الحلف...الخ».

- إنّ المعوّل عليه عنده في الاحتجاج هو صحة الرواية، وموافقها للشروط الثلاثة السابقة، فإذا لم تصح لا يصح الاحتجاج، ويظهر هذا من خلال تعقّب الجعبري عند ما أجاز تحريك التنوين بالكسر في (ناراً تُلظّي) [اليل:14] فقال المؤلف ردّاً عليه: « هذا لا نعلم أحداً تقدّم الجعبريّ إليه، ولا دلّ عليه كلامه، ولا عرّج عليه من أئمة القراءة قاطبة، ولا نقل عن أحد منهم، قال: وهذا إن جاز عند أهل العربية في الكلام، فإنّه غير جائز عند القراء، في كلام الملك العلام؛ إذ القراءة سنّة يأخذها الآخر عن الأوّل».
- احتجاجة للقراءة-أحياناً- بحديث رسول الله μ ومنه ما ذكره عند رواية رويس في قوله تعالى(فليفرحوا) [يونس:58] قال:«روى رويس بالخطاب، وهي قراءة أبيّ، ورويناها مسندة عن النبي μ قال: وهي لغة لبعض العرب، وفي الصحيح عن النبي μ :(لتأخذوا مصافكم)».
- ردّه على المنكرين والطاعنين في بعض القراءات، وبيان عدم قبول كلامهم في ذلك، كما في عبارته:«ولا التفات إلى قول الزجاج، ولا إلى قول الزمخشري»، ولمّا ذكر طعن المبرّد على قراءة (بَارِكُمْ)[البقرة:54] بالإسكان قال:«ذلك مردودٌ على قائله».
- استشهاده بالشعر، وهذا كثير في الكتاب، على اعتبار أنّه في القراءات، وليس موضوعاً لتوجيهها.
- معلوم أنّ كتب القراءات وتوجيهها إنما ألفت لمناقشة القراءات المختلف فيها بين القراء، لكن يلاحظ الباحث أنّ المؤلف هنا زاد على ذلك ذكر وتوجيه القراءات المتفق عليها بين القراء، وهي كلها في قسم الفرش، فكان بعد أن يذكر القراءة المختلف فيها يقول: واتفقوا

على كذا ، مثال ذلك:

لَمَّا ذَكَرَ خِلاَفَ الْقُرَّاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ) [الواقعة:89] وتوجيه الكلمة قال: «و اتفقوا على قوله تعالى: (ولا تايئسوا من روح الله إنه لا يايئس من روح الله) [يوسف:87] أنه بالفتح؛ لأنَّ المراد به الفَرَج والرحمة، وليس المراد به الحياة الدائمة».

وقد بلغ عدد هذه القراءات المتفق عليها ووجَّهها المؤلِّف خمسين قراءة(16).

الخاتمة وفيها أهم النتائج:

- يعتبر الحافظ ابن الجزري من المدافعين عن القراء وما تواتر من القراءة، ولا يرى ترجيح إحداها على الأخرى.
- عني الحافظ ابن الجزري بالتوجيه النحوي والبلاغي والتفسيري وغيرهما، وكان دائم الحرص على تجلية المعاني المتعلقة به، كما حرص على إزالة الإشكال في كثير من القراءات مظهراً قوتها في العربية وفصاحتها.
- يغترف الحافظ ابن الجزري من بحور اللغة كل ما يراه معينا على توجيه قراءة، أو حل مشكلة، أو ترجيح قول، سواء كان ذلك شعراً أم نثراً، وكذلك في الإعراب وغيره.

فهذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه، وصلى الله على سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(16) ينظر: منهج الحافظ ابن الجزري في الاحتجاج للقراءات، مقدمة دراسة وتحقيق كتاب النشر في القراءات العشر: 1/143-151.